

حَيَاةُ النَّبِيِّ ﷺ
وَسَلَامٌ

مُحَمَّدٌ
الْيَتِيمُ

رَسُومُ
عَبْدِ الْمَرْضَى عَبِيد

كُتِبَتْ
سَمِيرَ حَلْبِي

جميع الحقوق محفوظة لشركة سفير

٢٠٠٣/رقم الإيداع ٢٠٠٦٢

الترقيم الدولي I.S.B.N.977-361-193-0

جرافيك وفصل ألوان : عاصم سيد أحمد



عَادَتْ «حَلِيمَةً» إِلَى «مَكَّةَ» وَهِيَ تَحْمِلُ مَعَهَا «مُحَمَّدًا» لِتُعِيدَهُ
إِلَى أُمِّهِ، وَكَانَتْ دَهْشَةُ السَّيِّدَةِ «أَمِنَةَ» شَدِيدَةً حِينَمَا دَخَلَتْ عَلَيْهَا
«حَلِيمَةُ» وَمَعَهَا «مُحَمَّدٌ». فَنَظَرَتْ إِلَيْهَا فِي عَجَبٍ وَقَالَتْ :

- مَاذَا حَدَّثَ يَا «حَلِيمَةُ» ؟ لَقَدْ جِئْتِ قَبْلَ مَوْعِدِكَ ! مَاذَا أَصَابَ

«مُحَمَّدًا» ؟

قَالَتْ «حَلِيمَةُ» فِي هُدُوءٍ :

- إِنَّهُ بِخَيْرٍ يَا سَيِّدَتِي .. فَهَا

هُوَ بَيْنَ يَدَيْكَ فِي أَتَمِّ

صِحَّةٍ وَخَيْرِ حَالٍ.



سَأَلَتْهَا «أَمْنَةُ» وَهِيَ لَا تُخْفِي لَهْفَتَهَا وَقَلَقَهَا :

- مَاذَا حَدَّثَ ١٥ .. أَخْبِرْنِي يَا «حَلِيمَةُ» !!

قَالَتْ «حَلِيمَةُ» وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى «مُحَمَّدٍ» فِي حُبٍّ وَحَنَانٍ :

- فِي الْحَقِيقَةِ لَقَدْ حَدَّثَ شَيْءٌ عَجِيبٌ لِمُحَمَّدٍ دَفَعَنِي إِلَى

التَّعْجِيلِ بِإِعَادَتِهِ إِلَيْكَ .



نَظَرْتُ «أَمْنَةً» إِلَيْهَا فِي دَهْشَةٍ، بَيْنَمَا رَاحَتْ «حَلِيمَةً» تَقُولُ :
- لَقَدْ كُنْتُ جَالِسَةً مَعَ زَوْجِي «الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى»، وَفَجْأَةً
دَخَلَ عَلَيَّ ابْنِي وَهُوَ يَصْرُخُ وَيَقُولُ:
- أَدْرِكُوا أَخِي .. أَدْرِكُوا «مُحَمَّدًا»!!



فَلَمَّا سَأَلْنَاهُ عَمَّا حَدَّثَ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ رَأَى رَجُلَيْنِ يَلْبَسَانِ ثِيَابًا
بَيَاضًا، قَدْ أَخَذَاهُ فَأَرْقَدَاهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَشَقَّ صَدْرَهُ، ثُمَّ أَخْرَجَا
شَيْئًا مِنْهُ.

أَكْمَلِي يَا «حَلِيمَةُ».

- أَسْرَعْتُ أَنَا وَزَوْجِي عَلَى الْفَوْرِ إِلَى «مُحَمَّدٍ»، فَوَجَدْنَاهُ قَدْ
تَلَوْنَ وَجْهَهُ مِنَ الْخَوْفِ وَالْفَزَعِ، فَأَخَذْنَا نَطْمِئِنُّهُ وَنَهْدِي مِنْ رَوْعِهِ،



حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الْخَوْفُ، ثُمَّ رَأَيْنَا أَنْ نُعِيدَهُ إِلَيْكَ، فَإِنَّا لَا نَأْمَنُ عَلَيْهِ
وَنَخَافُ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِسُوءٍ أَوْ يُصِيبَهُ مَكْرُوهٌ.

اِقْتَرَبَتْ «أَمْنَةُ» مِنْ «مُحَمَّدٍ» ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ تَحْتَضِنُهُ بِحُبٍّ وَحَنَانٍ:

- وَاللَّهِ إِنَّ أَبْنَى هَذَا مُبَارَكٌ .. وَقَدْ رَأَيْتُ فِيهِ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْبَشَارَاتِ

مَا يَمْلَأُ نَفْسِي رِضًا بِهِ وَأَمْنًا عَلَيْهِ .



وَأَنْصَرَفَتْ «حَلِيمَةُ» عَائِدَةً إِلَى دِيَارِ قَوْمِهَا، بَعْدَ أَنْ أَعَادَتْ
«مُحَمَّدًا» إِلَى أَحْضَانِ أُمِّهِ.

أَرَادَتْ «آمَنَةُ» أَنْ تَأْخُذَ «مُحَمَّدًا» إِلَى «الْمَدِينَةِ» لِزِيَارَةِ أَحْوَالِ
أَبِيهِ مِنْ «بَنِي النَّجَّارِ»، وَكَانَتْ فَرَحَةً «مُحَمَّدٍ» غَامِرَةً وَهُوَ يَشْعُرُ
بِحَنَانِ أُمِّهِ وَحُبِّهَا لَهُ وَعَظْمِهَا عَلَيْهِ، فَلَمْ يُفَارِقْهَا لَحْظَةً طَوَالَ
تِلْكَ الرَّحَلَةِ الشَّاقَّةِ عَبْرَ
الصَّحَرَاءِ الطَّوِيلَةِ الْمُوحِشَةِ،
حَتَّى وَصَلُوا إِلَى دِيَارِ «بَنِي
النَّجَّارِ»، وَهُنَاكَ اسْتَقْبَلَهُ
الْجَمِيعُ بِالْوُدِّ وَالْحَفَاوَةِ،
وَقَدْ وَجَدُوا فِيهِ الْعِوضَ عَنْ
أَبِيهِ الَّذِي مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى
وَحِيدَهُ.

انْقَضَتْ أَيَّامُ «أَمْنَةَ» وَ«مُحَمَّدٍ» فِي الْمَدِينَةِ، فَقَرَّرَتْ الْعَوْدَةَ بِهِ إِلَى
«مَكَّةَ» لَكِنَّهَا تُوَفِّيَتْ فِي الطَّرِيقِ، وَدُفِنَتْ بِالْقُرْبِ مِنْ «الْمَدِينَةِ».

وَعَادَ «مُحَمَّدٌ» وَحِيدًا إِلَى «مَكَّةَ» بَعْدَ أَنْ فَقَدَ أُمَّهُ، يَبْكِي حُزْنًا
لِفِرَاقِهَا، وَقَدْ تَرَكَ الْيَتَمَ آثَارًا مُؤَلِّمَةً مِنَ الْحُزَنِ وَالْأَسَى فِي قَلْبِهِ.



أَرَادَ «عَبْدُ الْمُطَّلِبِ» جَدُّ «مُحَمَّدٍ» ~ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُ آلامَ الْيَتَمِ
وَأَحْزَانَ الْوَحْدَةِ، فَأَحَاطَهُ بِحُبِّهِ وَرِعَايَتِهِ، وَعَوَّضَهُ بِخَنَانِهِ وَعِنَايَتِهِ
عَنْ فَقْدِ أَبَوَيْهِ، وَتَعَلَّقَ «مُحَمَّدٌ» بِجَدِّهِ، فَصَارَ لَا يَكَادُ يُفَارِقُهُ حَتَّى
فِي مَجَالِسِهِ مَعَ كِبَارِ قَوْمِهِ فِي مُنْتَدَيَاتِ «قُرَيْشٍ» وَمَجَالِسِهَا .

لَكِنَّ الْأَيَّامَ كَانَتْ تُخْفِي أَحْزَانًا جَدِيدَةً لِمُحَمَّدٍ، فَمَا لَبِثَ أَنْ تُوَفَّى
جَدُّهُ «عَبْدُ الْمُطَّلِبِ»، وَلَمْ يَكُنْ عُمُرُ «مُحَمَّدٍ» قَدْ جَاوَزَ الثَّامِنَةَ،
فَتَجَدَّدَتْ آلامُهُ مَرَّةً أُخْرَى، وَعَرَفَتْ الْأَحْزَانُ طَرِيقَهَا إِلَى
قَلْبِهِ مِنْ جَدِيدٍ .





لَمْ يَكُنْ «مُحَمَّدٌ» يَمِيلُ إِلَى حَيَاةِ
اللَّهِوِ وَالْفَرَاحِ الَّتِي اعْتَادَهَا أَقْرَانُهُ مِنْ
فِتْيَانِ «مَكَّةَ»، فَهُوَ لَمْ يَسْجُدْ يَوْمًا لِصَنَمٍ
كَمَا يَفْعَلُ أَبْنَاءُ «مَكَّةَ»، وَلَمْ يُشَارِكْ يَوْمًا
فِي مَجَالِسِ اللَّهِوِ الَّتِي انْتَشَرَتْ فِي
«مَكَّةَ» وَغَيْرِهَا، وَإِنَّمَا كَانَ مِثْلًا لِلصِّدِّيقِ
وَالْأَمَانَةِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ حَتَّى اشْتَهَرَ
بِذَلِكَ بَيْنَ أَهْلِ «مَكَّةَ» .



بَعْدَ وَفَاةِ «عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» انْتَقَلَ «مُحَمَّدٌ» إِلَى بَيْتِ عَمِّهِ «أَبِي طَالِبٍ»،
وَكَانَ «أَبُو طَالِبٍ» فَقِيرًا قَلِيلَ الْمَالِ، فَبَارَكَ اللَّهُ لَهُ بِفَضْلِ رِعَايَتِهِ
هَذَا الْيَتِيمَ الْمُبَارَكَ، وَوَجَدَ «مُحَمَّدٌ» فِي عَمِّهِ مِنَ الْحُبِّ وَالرَّعَايَةِ مَا
عَوَّضَهُ عَمَّا فَقَدَهُ مِنْ حَنَانِ جَدِّهِ لَهُ وَعَطْفِهِ عَلَيْهِ وَرَحْمَتِهِ بِهِ.



وَحِينَمَا بَلَغَ «مُحَمَّدٌ» الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ، أَرَادَ عَمُّهُ أَنْ يَخْرُجَ
بِتِجَارَةٍ إِلَى «الشَّامِ»، فَتَعَلَّقَ بِهِ «مُحَمَّدٌ»، وَأَلْحَ عَلَيْهِ فِي الْخُرُوجِ
مَعَهُ، فَفَرَّقَ لَهُ عَمُّهُ، وَأَخَذَهُ مَعَهُ، وَكَانَتْ تِلْكَ الرِّحْلَةُ هِيَ أَوَّلَ رِحْلَةٍ
لِمُحَمَّدٍ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، وَسَارَتِ الْقَافِلَةُ فِي طَرِيقِهَا تَعْبُرُ الصَّحَارَى
وَالْوُدْيَانَ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى مَشَارِفِ الشَّامِ بَعْدَ رِحْلَةٍ طَوِيلَةٍ شَاقَّةٍ.



تَوَقَّفَتِ الْقَافِلَةُ عِنْدَ أَحَدِ الْأَدِيرَةِ عَلَى أَطْرَافِ الشَّامِ، كَمَا تَعَوَّدَتْ
قَوَافِلُ الْعَرَبِ أَنْ تَفْعَلَ فِي طَرِيقِ رِحْلَتِهَا كُلِّ عَامٍ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ
الرَّاهِبُ «بَحِيرًا» يَسْأَلُهُمْ عَنْ أَخْبَارِ «مَكَّةَ» وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ قُرْبِ ظُهُورِ
نَبِيِّ مِنَ الْعَرَبِ فِي هَذَا الزَّمَنِ، كَمَا بَشَّرَتْ بِذَلِكَ كُتُبُ أَهْلِ الْكِتَابِ
مِنَ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ.





وَحِينَمَا رَأَى «بَحِيرَا» «مُحَمَّدًا» عَرَفَهُ مِنْ بَعْضِ أَوْصَافِهِ الَّتِي
ذَكَرَتْهَا كُتُبُهُمُ الْمُقَدَّسَةُ، وَأَدْرَكَ أَنَّهُ النَّبِيُّ الْمُنْتَظَرُ، فَسَأَلَ عَمَّنْ جَاءَ
مَعَهُ، فَلَمَّا دَلُّوهُ عَلَى عَمِّهِ أَخْبَرَهُ أَنَّ هَذَا الْغُلَامَ سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ
عَظِيمٌ، وَنَصَحَهُ بِالرُّجُوعِ بِهِ إِلَى «مَكَّةَ»، وَحَذَرَهُ مِنَ الْيَهُودِ، وَبَعَدَ
رِحْلَةً قَصِيرَةً فِي بِلَادِ «الشَّامِ» عَادَ «مُحَمَّدٌ» إِلَى «مَكَّةَ» لِيَبْدَأَ مَرِحْلَةً
جَدِيدَةً مِنْ حَيَاتِهِ.